الثورات العربية
ما لها وما عليها

الأستاذ الدكتور
على أحمد الخطيب
أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد والعميد الأسبق لكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر - فرع جرجا - سوهاج

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٣٨٤,٨٩٧
الخطيب .علي
أ.ع
الثورات العربية ما لها وما عليها /علي الخطيب.- ط١.-
دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ،
٧٦ ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم .
تدمك : 3- 342- 308 - 977 - 978
١. الثورات.
أ - العنوان .

رقم الإيداع : ١٩٤٨١- ٢٠١٣

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة
هاتــف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - فاكس: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١
E-mail: elelm_aleman@yahoo.com
elelm_aleman@hotmail.com

2013

إهداء

إلى كلّ مُنْصِفٍ للحقّ ، رَافِضٍ للعَصَبِيَّة والعُنصريّة والإرهاب، داعٍ للسّلام والتّسَامُح، وإلى كلّ ثائرٍ نبغي الحق .

****

أ . د / على الخطيب
أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد
والعميد الأسبق لكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر – فرع جرجا – سوهاج

المحتويات



توطئة

الحمد لله تتأرّج بشذاها الإنسانية المؤدبة، وتموّج بنداها الروحانية المهدّبة، وتتروح بها النفوس المضطربة، وتراح إليها القلوب المعذّبة، إنها طاقة تمدّ بفوْحها أنفاس الأمل فى الحياة، وباقة تجلّد بنفحها أسباب الرجاء فى النجاة، ودوحة نتفيأ ظلالها وننتفع بثمارها، جذع تلك الدّوحة "محمد بن عبد الله"، وأفنانها صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

أما بعد

فقد لقي الإسلام في مسيرته صنوفاً من التحدّيات، بيد أن الإسلام تجلّت حيوية أجياله في قدرتها على مواجهة هذه التحديات، ومقابلتها بشجاعة وصبر، ونجح الشباب المسلم في تحويل هذه العقبات إلى معابر، يعبرون من خلالها إلى آفاق أوسع، حيث كان التّحدّي في أن يصل الإسلام إلى الآذان والعقول والقلوب، وأن يتحمل المسلمون مسئولية ذلك، فقد نالهم من الأذى البدني والاجتماعي، والاقتصادي، والفكري الكثير فهاجروا إلى الحبشة، وحصروا في شعب بني هاشم، ومع ذلك كله استطاعوا تكوين الجماعة المسلمة الناهضة بهذا الدين، وحملت أمانة تبليغه إلى الناس أجمعين.

وقد استطاعت تلك الجماعة الإسلامية أن تنمو داخلياً، وأن تكوِّن ذاتها خارجياً، ومع هذه التحدِّيات، وتلك الصّعاب استطاع النبي - صلى الله عليه وسلم- إقامة الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة بعد هجرته إليها، وبني المسجد

النبوي؛ لترتفع كلمة الحق، وسترتفع بإذن الله إلى أن تقوم الساعة، ويقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة.

كما أن الإرهاب ظاهرة غريبة على جسم الأمة الإسلامية، بل ودخيلة على الإسلام وأهله، وما يحدث في هذه الآونة من إرهاب يتجلّى في الحوادث التي أُزْهِقَتْ فيها الأرواح البريئة، ورمّلت النساء، ويُتّم الأطفال دُونَما ذنب جَنوه، أو إثم اقترفوه، أو سيئة اجترحوها، كما هو جناية لا تغتفر على الاقتصاد الذي يجب على الجميع حراسته وحمايته، وأن يحمل كل مواطن على عاتقه إنماءه؛ لإسعاد الشعب المصري، وازدهاره حتى لا تمتد أيدينا إلى المساعدات الخارجية، وإن مدّت فإنما تكون بقدر وبحساب؛ كي يعيش هذا الشعب ويدخل في حلل السعادة، والازدهار والنمو والتقدم.

وبإذن الله سيتحقق الرخاء، والانتعاش والقضاء على هذه الظاهرة الغريبة، ولن ينالوا بإذن الله من هذا الشعب العظيم.

وقول أمير الشعراء "أحمد شوقي":-

الله أكبر إن دين محمد	من خير أديان البرية دينا
لا تذكر واكتب السوالف عنده	طلع الصباح فأطفئ القنديلا

والله الموفق والمعين

المؤلف

أ . د / على الخطيب

أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد

والعميد الأسبق لكلية اللغة العربية

جامعة الأزهر – فرع جرجا – سوهاج

إن العالم كله الآن يموج بتيارات من الفتن، تقض مضجعه، وتؤرق أهله، وتجعلهم يعيشون في جو من الإضراب، والقلق النفسي، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وفقدوا نعمة من أجل النعم وأعظمها، وهى نعمة الأمن.

فلقد امتدح القرآن الكريم نعمة الأمن في أكثر من آية في القرآن الكريم، يقول الله -عزّ وجلّ- : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧) ﴾ [سورة العنكبوت:٦٧] ويقول الله -عزّ وجلّ- أيضاً: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾ [سورة قريش:٤].

وقال- تعالى-: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) ﴾ [سورة الأنعام:٨١]، ويقول - سبحانه وتعالى-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾ [سورة الأنعام:٨٢]، وقال – عز من قائل - : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) ﴾ [سورة النحل:١١٢].

وقال – صلى الله عليه وسلم – : "من بات آمناً فى سربه، معافى فى بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت إليه الدنيا بحذافيرها".

ولقد تفشت في هذا العصر الأنكر ظاهرة القتل على يد الجماعات الإرهابية، وابتليت جميع الدول بهذه الظاهرة، وهى من علامات الساعة الصغرى، كما أخبر بذلك المعصوم – صلى الله عليه وسلم – في قوله – عليه الصلاة والسلام :

"والذي نفسي بيده، ليأتينّ على الناس زمان لا يدرى القاتل فيما قتل، ولا المقتول فيما قُتل"(١)، وذلك أن الناس يقتل بعضهم بعضاً دونما هدف، كما أن في ذلك استخفاف بدماء الناس، وهو أيضاً من علامات الساعة الصغرى، قال - صلى الله عليه وسلم - : "بادروا بالأعمال ستاً: إمارة السفهاء، وكثر الشّرط، وبيع الحكم، واستخفافاً بالدم، وقطيعة الرحم، ونَشْوا يتخذون القرآن مزامير، يقدمون أحدهم ليغنيهم وإن كان أقلهم فقهاً"(٢).

وظاهرة الإرهاب دليل على انعدام الفقه لتعاليم الإسلام السمحة، حيث إن الإسلام دين سمح، كما أنه دين الذوق والمروءة، والنجدة والتعاون، والرحمة، والعدالة، وكرم الضيافة، وحسن الخلق، وإتباع السيئة بالحسنة، والتسامح، كما أنه دين الحضارة الإسلامية العريقة، والتي حمل ألويتها المسلمون الأُول.

فلقد وصف الله سيدنا محمداً قائد الإسلام والمسلمين بالخُلُق، قال - تعالى-: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم:٤]، وفى مجال الأخلاق الفاضلة الكريمة بيّن الله - عزّوجلّ - أن هذه الخُلّة، وتلك الخصلة لا تسمو فوقها خصلة أخلى من الخصال، فإن ابنى آدم: "قابيل ، وهابيل" حينما قرّبا قرباناً لله - عزّوجلّ - ﴿ ...فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة المائدة:من ٢٧]إلماحة ولفتة وتوجيه وإرشاد إلى أن السبيل المؤدّى لقبول الطاعات إنما هو التقوى، فهدده أخوه بالقتل دونما ذنب جناه، أو إثم اقترفه، أو جرم اجترحه، "قال لأقتلنك"، ثم طوعت له نفسه قتل أخيه

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة .
(٢) حديث صحيح: رواه الطبرانى عن عابس الغفارى، ورواه أحمد فى مسنده، وذكره الألبانى رقم (٩٧٩).

فقتله، وكان جوابه لأخيه على ذلك التهديد الصارخ، والظاهرة الإرهابية الماكرة، الخداعة ما حكاه القرآن الكريم على لسان أخيه رداً على تهديده له: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ... ﴾، لماذا؟ ﴿ ... إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سورة المائدة:٢٨]، ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة المائدة:٣٠]. وكان ذلك أوّل دم يراق في الأرض، وهو قتل قابيل لهابيل.

وحينما طغى "فرعون" وتجبر، وعاث فساداً في الأرض وتكبر، وأمر الله "موسى" وأخاه بالذهاب إلى "فرعون" كان من المناسب أن يقابل الطغيان بالطغيان، والظلم بالظلم، والبغي بالبغي، والجبروت بالجبروت، ولكنّ الأليق والأفضل أن يواجه ذلك كله بالخلق، وذلك ما حديث حيث صدرت التوجيهات الربانية والأوامر العلوية من الله -عزَّ وجلّ- إلى "موسى وهارون" بقوله -عزَّ وجلّ- : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [سورة طه:٣٤: ٤٤].

وكانت السيدة الفضلى "عائشة" – رضوان الله عليها – إذا نظرت إلى المرآة لتحسن هندامها تقول: "اللهم كما حسنت خَلْقي فحسّن خُلُقي".

ذلك هو الإسلام الذي يحترم الإنسانية جمعاء، وحرمة الدم، بل إنه يحترم حرمة الحيوان، حيث ينبئنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن امرأة دخلت النار في هرّة حبستها، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

ذينكم هو الإسلام الذي لا تشوبه شائبة، والذي يعالن الناس أجمعين، مسلمين وكافرين على السواء بأنهم جميعاً لآدم، قال – صلى الله عليه وسلم -:

"كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى".

كما أن الإسلام قضى على الشعوبية، ووأد العصبيات، حيث نسب سلمان الفارسي إلى آل البيت على الرغم من أنه من فارس، فقال – عليه السلام –: "سلمان منا آل البيت".

ويروى أن علياً بن أبى طالب – رضي الله عنه – فخر على "سلمان" يوماً فقال له عليّ: "أنا أقرب منك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ". فشكاه "سلمان" لرسول الله – عليه السلام – فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم – صاحب الذوق الرفيع، والأدب الجم العالي، مطيباً خاطره، ومهدئاً من روعه، ومؤنساً لنفسه: "أما أنت يا عليّ فقريب قرابة، وأمّا أنت يا سلمان فقريب قُرْبة"، والقرابة دم ولحم، والقربة جسد وروح، وبذلك خفف عنه ما وجده من آلام، وعرّفه أن الإسلام يضرب بيد من حديث على النزعات والعرقية المبنية على أساس الجنس، أو اللون، أو غير ذلك مما يكون سبباً في الفرقة والجفاء.

ويقول – صلى الله عليه وسلم – : "ليس منّا من قاتل على عصبية، ليس منّا من دعا إلى عصبية، ليس منّا من مات على عصبية".

من هذا المنظور الإسلامي نستطيع القول بأن الإسلام برئ من الإرهاب، تلك الظاهرة الغريبة على جسم الأمة الإسلامية براءة الذئب من دم "ابن يعقوب"، وأن الذين يحملون لواء الإرهاب ويرفعون رايته هم أناس دخلاء على الإسلام، ولا يفقهون شيئاً من تعاليمه السمحة، إنما هم أناس يتعلمون يوم السبت ويتخرجون يوم الأحد، ويتصدرون الفتوى يوم الاثنين، ويكفرون الناس يوم الثلاثاء، فبضاعتهم

قليلة بل مزجاة، وفقههم للدين ضحل، فلا يوجد دين فضلاً عن الإسلام صاحب الخلق الكريم يبيح الدماء، أو يستحل القتل.

وما حدث في مصر العربية الإسلامية من قتل ونهب من بعض الشباب في الحكم البائد "حسنى مبارك" لا يعد تعبيراً عن الخط الإسلامي، أو المنهج الديني، إنما هم شرذمة قليلة، وفئة ضالة لا تفقه شيئاً في الإسلام، ولا تمثل إلا أفكارها البالية، ومعتقداتها الخاطئة، والإسلام من ذلك براء كما أومأنا إلى ذلك آنفاً.

من تلك الحوادث الإرهابية حادثة الأقصر في صعيد مصر الطيب صاحب الشهامة، والنجدة، والمروءة، والرجولة، والكرم، كما أنه صاحب الحضارة العريقة، والتي تفاخر مصر بها غيرها من جميع دول العالم، وصدق أمير القوافي حين قال:

أصل الحضارة في صعيدك ثابت ... ونباتُها حَسَنٌ عليك مخلّـق (١)

فالصعيد صاحب الحضارة، والأقصر هي عاصمة مصر قبل القاهرة في الزمن الغابر، وكانت تسمى "طيبة"، وهي المسماة الآن "بالأقصر"، ويقول العلماء: إن ما بها من آثار يبلغ "ثلث آثار العالم"، ولمعرفة السائحين من جميع دول العالم بما لمصر من مكانة رائقة، وحضارة عريقة؛ لذلك يفدون إليها من شتى البقاع، ومختلف الأصقاع.

والسياحة في الإسلام أمر مهم، فهو ترويح عن النفس، قال - صلى الله عليه وسلم - : "روّحوا عن النفوس ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلّت عميت"، وإن القرآن الكريم كتاب الله وبيانه، ووحيه وتنزيله وبيانه، وهداه وسبيله، به قصم الله ظهر كل شيطان مريد، وأذلّ به كل جبار عنيد، وإن القرآن الكريم هو أول كتاب سماوي لفت أنظار الإنسانية جمعاء إلى قانون يسمى "قانون السير والنظر"، قال -

---

(١) الديوان ٦٥/١ . مخلق : متطيب .

تعـالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [سورة الروم:٩]

ويقـول - سـبحانه وتعـالى - : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة غافر:٢١]

فزيارة الآثار تُرى الناس أن الذين كانوا من قبلنا كانوا أشد قوة، وأقوى تفكيراً، وعمروا الأرض بهذا الفن العظيم، فن الآثار، والنحت، والتصوير، وهى جميعاً من الألوان الجمالية المحببة إلى النفس البشرية، بَيْد أننا ننظر إلى هذه الفنون بوصفها فنوناً لأمم أخرى يجب أن نتعامل بها من باب العبرة والعظة والحضارة والتقدم، وأن نأخذ منها الحكمة حيث إن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها.

ويقـول - عـزَّ وجلّ - : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [سـورة محمـد:١٠]. فهذا قلّ من كثر، وقطرة من بحر مما ورد في كتاب الله والسنة النبوية المطهرة.

والسائحون الأجانب إنما وفدوا إلى مصر قاهرة المعز لدين الله الفاطمي للسياحة، والنظر في آثار الغابرين، فواجب علينا تأمينهم وحمايتهم؛ لنريهم الوجه الحضاري في أسمى صوره، وهم ضيوف علينا، فواجب إكرامهم لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"، كما أنه واجب علينا جوارهم؛ لقول الله -عزَّ وجل- ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة التوبة:٦]

وحينما قفل النبي – صلى الله عليه وسلم – آيباً من الطائف، كسير القلب، مفطور الفؤاد، وتأكد أن أخبار ثقيف قد سبقته إلى قريش، رأى الرسول – عليه السلام – ألا يدخل مكة حتى يستوثق لنفسه ودعوته، فبعث إلى "المطعم بن عدى" يعرض عليه أن يجيره حتى يبلغ رسالة ربه، فقبل "المطعم بن عدى"، واستنهض أبناءه، فحملوا أسلحتهم، ووقفوا عند أركان البيت الحرام، وتسنم "المطعم" ناقته ثم نادي: يا معشر قريش ، قد أجرت محمداً – صلى الله عليه وسلم– فلا يهجه أحد منكم". فلما انتهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى الكعبة صلّى ركعتين، ثم انصرف إلى بيته، و"مطعم" وأهله يحرسونه بأسلحتهم(١).

وقيل : إن "أبا جهل" سأل "مطعماً": أمجير أم متابع – يعنى مسلم – قال "مطعم": بل مجير. فقال له : قد أجرنا من أجرت(٢). وكان "المطعم" على دين أجداده، وحفظ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "للمطعم" هذا الصنيع، صنيع المروءة والنجدة، فقال يوم أسرى بدر:"لو كان "المطعم" حيّاً لتركت له هؤلاء النتّنى"(٣).

نقتبس من هذه الأضواء النبوية وموقف "المطعم بن عدى" وأبنائه، ودخول النبي – صلى الله عليه وسلم – في جواره وجوار أولاده أنه من الواجب علينا تأمين السائحين حتى يؤوبوا إلى بلادهم آمنين شاكرين لمصر الحضارة، ولمصر الإسلام، ولمصر الأزهر الشريف، ولمصر المآذن، ولمصر المروءة والنجدة، والأخلاق العالية.

---

(١) ذكره ابن جرير ٨٢/٢ ، ٨٣ .
(٢) فقه السيرة : للغزالي – دار الريان للتراث ص١٣٥ – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
(٣) ذاته .

أما الذين يرون في الآثار أنها أصنام، فهؤلاء ختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم؛ حيث إننا لم نقم بصنع هذه التماثيل لأنها مخالفة للشريعة الإسلامية، لكننا نفيد منها أن الله قد أهلك من صنعها، ودمر من قام بها وأنشأها مع ما تدل عليه من قوة من صنعوها، وجبروت من نحتوها، ونظرتنا إليها نظرة إسلامية، إلا وهى نظرة "العظة والعبرة"، حيث إنهم لم يستطيعوا ولن يستطيعوا خلق الروح فيها، فيزداد إيماننا بالخالق - سبحانه وتعالى - حيث إنه صوّرنا فأحسن صورنا، ويجعلنا نهتف بقوله - تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الانفطار٦ :٨]،كما أن واجب الشعب أن ينهض لمساندة الأمن، ومقاومة هؤلاء الدخلاء المنحرفين عن الصراط السوي المستقيم؛ حتى نعيش في بلادنا آمنين مطمئنين، مستقرين اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، ويومذاك نستطيع القول للسائحين وغيرهم: ﴿...ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة يوسف : من الآية ٩٩] ، وقد قال بعض المفسرين: إن المراد هنا "بمصر" هي مصر المحروسة [(١)]، وهى بإذن الله مصانة محروسة.

وقد أنبأنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن من علامات الساعة الصغرى الاستخفاف بالدم، وهو ما نراه واقعاً ملموساً في هذا العصر، ويتكرر في حياتنا اليومية، قال - صلى الله عليه وسلم - : "بادروا بالأعمال ستاً: إمارة السفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم، واستخفافاً بالدم، وقطيعة الرحم، ونشواً يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليغنّيهم وإن كان أقلهم فقهاً".

---

(١) مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهانى.

فإراقة الدماء حرام شرعاً،إلا إذا كانت بحق أو قصاصاً، قال الله - تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة:١٧٩]، يقول علماء البلاغة: "إن التنكير هنا يفيد التعظيم"، أي : ولكم في القصاص حياة عظيمة يا أصحاب العقول السليمة الواعية. وقالت العرب: "القتل أنفى للقتل"، وبون شاسع، وفرق بعيد بين الآية القرآنية الكريمة والعبارة العربية فليس كل قتل أنفى للقتل، بيد أن القصاص أنفى للقتل، والعبارة العربية فيها تكرار، بخلاف الآية الكريمة، حيث لا تكرار فيها.

ويقول الدكتور/ "عبد الجواد الطيب" في تفسير قوله - تعالى - : "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ" : "هذا بيان لأهمية القصاص وأثره البالغ في حياة الفرد والمجتمع، وقد تناولته الآية على وجه من البلاغة، لا يُبلغ شأوه، فجعلت الشئ محلاً لضده حين جعلت من القصاص حياة؛ لأنه تنظيم للقَوَد، فلم يعد يُقتل الجماعة بالفرد، عصمة من الثأر الذي يسبب الفوضى، ويهدر الأمن، ويتعرض فيه للقتل غير القاتل نفسه، ثم إنه حياة فعلاً لأنه إذا هَمّ إنسان بالقتل حسب حساباً للقود فيحجم عنه، فيسلم هو ويسلم صاحبه، وإذا فعل فالقصاص يجعله عبرة لغيره"(١).

وقد اهتم رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - بحرمة الدماء، يتجلى ذلك في خطبته - عليه السلام - في "حجة الوداع" حيث قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد أن حمد الله وأثنى عليه : "أيها الناس ، اسمعوا قولي، فإني لا أدرى لَعَلّى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا،

---

(١) الإعراب الكامل لآيات القرآن الكريم: للدكتور/ عبد الجواد الطيب ٩٣/٢ - مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماهير.

وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلّغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، فضى الله أنه لا ربا، وإن ربا "عباس بن عبد المطلب" موضوع كُلّه، وإن كل دم في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم "ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب"، وكان مسترضعاً في بني ليث فقتله "هذيل". فهو أول ما بدأ به من دماء الجاهلية"[١].

ويعنينا هنا هذه الجملة من خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهى : "إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام"، وهى جملة اسمية مؤكدة بإن، وخبرها جملة اسمية قدم فيها الخبر "شبه الجملة" على المبتدأ "عليكم حرام"، وفى رواية البخاري: "... فإن دماءكم وأموالكم" قال محمد راوي الحديث: وأحسبه قال: "وأعراضكم عليكم حرام"[٢].

وفى رواية "الواقدى" - وهى تنتهي إلى "عمرو بن يثربي"، وعبد الله بن عباس" - جاء الخبر جملة فعلية فعلها ماض مسبوق بـ"قد": "إن الله قد حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم"، ففيها تأكيد مضاعف، وداعي التوكيد هنا الرغبة في توثيق هذا الأمر في النفوس، وتثبيته في القلوب في هذا اللقاء الجامع، الذي لا يتكرر مرة أخرى، ومن المعروف أنه في المدة التي تلت فتح "مكة" وغزوة "حنين" قد دخلت الوفود في دين الله أفواجاً، وكثير ممن كان في صحبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - يوم حجة الوداع لم يكن قد انفصم عن ماضيه الذي كانت تستباح فيه

---

(١) سيرة ابن هشام ١٨٥/٤ وما بعدها – مكتبة الكليات الأزهرية – تعليق: طه سعد – ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
(٢) صحيح البخاري بشرح الكرمانى ٢١٢/١٦ .

الــدماء والأمــوال والأعــراض، علــى الأقــل بالنســبة للقبائــل المعاديــة، فكـــان لا بدّ من هذا التأكيد.

ونلاحظ هنا أن الدماء والأموال - والأعراض في الروايات الأخرى -جاءت بصيغة الجمع المضاف إلى ضمير الجماعة، وهذا يعنى أن دم الفرد وماله وعرضه هو دم الجماعة ومالها وعرضها، وهى مسئولة عن صيانته والحفاظ عليه، والدفاع عنه، والقتال دونه، ويعنى أيضاً أن كل فرد مسئول في حدود قدراته عن دم غيره وماله وعرضه، وبهذا تتحقق مسئولية الجماعة عن الفرد، ومسئولية الفرد عن الجماعة بصورة لا نظير لها في أي مجتمع آخر.

وهذا حديث شرحه يطول، نكتفي منه بهذه اللمحة، ونضيف إليه الحديث الذي رواه "النعمان بن بشير" عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهَموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"(١).

أما الترتيب فإن الدماء قدمت على الأموال في كل الروايات التي راجعتها، وفى رواية الواقدى تلا الدماء والأموال ذكر الأعراض، والسبب في ذلك فيما نعتقد: أن دم الإنسان مقدَّم على ماله، وأنه أغلى منه وأثمن، وأن العقوبة على سافك دم غيره أفظع من العقوبة على آخذ مال غيره، فالتقديم مبنى هنا على الأهمية.

---

(١) رواه البخاري وأحمد والترمذي واللفظ للبخاري.
وأيضاً قطوف من ثمار الأدب الإسلامي - تأليف: الدكتور/ على أحمد الخطيب.

ولكن هل يقل العِرض في أهميته عن المال حتى يؤخر عنه؟

وللإجابة على هذا السؤال ينبغي أن ننظر في جرائم الأعراض والأموال، فما الذي نراه؟ إنك تلاحظ أن جرائم الأموال في العادة أكثر من جرائم الأعراض، ونرى كذلك أن مواطن الشبه في الأموال التي يجب أن تُتقى أكثر من مواطن الشبه في الأعراض، فالحلال والحرام في الأعراض واضحان وضوحاً بيّناً بلا أدنى شبهة، وليس كذلك الأموال؛ لتشابك المعاملات بين الناس وتداخلها، فالاقتراب من الحرام والخوض فيه أكثر في الأموال منه في الأعراض؛ من أجل ذلك فيما تبين لنا قدم هنا الأموال على الأعراض وإن كان قد ساوى بين الثلاثة في حرمتها هذه الحرمة المغلظة.

ويأتي هنا قوله: "عليكم حرام" باستخدام "على" التي تفيد الاستعلاء، وفى رواية "الواقدى" أسند التحريم إلى الله مباشرة "إن الله قد حرّم"، والمعنى في الروايتين: إن التحريم آت من أعلى، وكل رواية تفيد هذا المعنى بصيغتها الخاصة بها، ولكنه يبقى فيهما شاخصاً ماثلاً، وهذا من شأنه أن يمكن المعنى في النفوس، ويدفعها إلى الاستجابة والتنفيذ.

ثم ما معنى إن الدماء والأموال والأعراض حرام؟ حتى يتبين المعنى ويتضح لا بد من تقدير محذوف، فالأسلوب من قبيل الإيجاز بالحذف؛ لأنه من المعروف أن الذوات لا يتعلق بها تحريم ولا تحليل، وهذا ما سوّغ هذا الإيجاز، فالذي يسمع أن الله حرّم الدماء لا ينصرف ذهنه إلى تحريم ذات الدماء، وإنما ينصرف هنا بحسب المقام إلى تحريم سفكها وانتهاكها، والاعتداء عليها مثلاً، وليس كذلك تحريم الدم في قوله-تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ ...﴾ [سورة

المائدة:٣](١) ؛لأن المعنى حينئذ كما يقتضيه المقام : حرم عليكم أكل الدم أو شربه أو تناوله مثلاً، أو الانتفاع به، فالمقام هو الذي يحدد المحذوف المقدر، ولكن الذهب في كل الأحوال لا يمكن أن يتخلى عن التقدير.

أما تحريم الأموال فإنه يقتضى أن يحرّم أكلها بين الناس بالباطل، مصداقاً لقوله -تعالى - : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ...﴾ [سورة النساء:٢٩].

وحرصاً وصيانة للدماء من الإهدار نرى القرآن الكريم يحافظ على هذا المعنى، ويحذّر من الاعتداء على حرمة الدم، فيقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [سورة المائدة:٤٥] .

من هذا كله يستبين لنا بجلاء ووضوح تامين أن الإسلام يرعى حرمة الدماء، وحقوق الإنسان قبل أن تعرفها النظم الدولية الحديثة، وصدق الله - عزّ وجلّ - حين قال: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة النحل:٨٩] .

كلمة أخيرة: واجب على الدعاة وعلى كل مسلم توعية الشباب المسلم؛ حتى يعصمه من الانزلاق في مهاوى الانحراف والزلل، وذلك بالإرشاد والتوجيه، والدعوة إلى الله من منظور قول الله - عزّوجلّ - :﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [سورة النحل:١٢٥]، والنأي عن طريق العنف حتى لا تشوه

---

(١) وينظر: من أسرار البيان النبوى: تأليف: الدكتور/ أحمد محمد على – دار الصحوة ص٨١.

صورة الإسلام، وليظل الإسلام شامخاً بقيمه ومبادئه القويمة، ومنهاجه الواضح، وخلقه الكريم:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[سورة يوسف:١٠٨]

وقوله-سبحانه وتعالى-:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

[سورة النحل:١٢٥] .

التحديات التي لاقت الإسلام

ونجح في مواجهتها



لقد لاقى الإسلام في مساره صنوفاً من التحديات، وتجلت حيوية أجياله في قدرتها على مقابلة هذه التحديات، فتجعل من عقباتها معابر إلى آفاق أوسع، فكان التحدي هو أن يصل الإسلام إلى الآذان والعقول والقلوب، وأن يتحمل المسلمون مسئولية ذلك، ونالهم من الأذى البدني والاجتماعي والاقتصادي والفكري الكثير، فهاجروا إلى الحبشة، وحوصروا في شِعب بني هاشم، ومع ذلك كله استطاعوا تكوين القاعدة البشرية التي تستطيع حمل هذه الأمانة.

كما كان من مسئوليتهم تكوين القاعدة الأرضية، فكانت الهجرة إلى المدينة؛ لتتكون الدولة الإسلامية الأولى حيث الأرض والبشر والتنظيم في وحدة إسلامية جامعة، وكان على هذه القاعدة أن تنمو داخلياً، وأن تكوِّن ذاتها خارجياً، ومع هذه التحديات، وتلك الصعاب أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الدولة الإسلامية الأولى في المدينة بعد هجرته إليها، وكانت هذه الدولة ولا تزال المثل الأعلى لكل حكومة يقيمها المسلمون في أي عصر، ولكل مجتمع يريد أن يحيا حياة فاضلة كريمة ، وكان قائدها "محمد - صلى الله عليه وسلم -" المثل الأعلى لكل قائد أو حاكم مسلم، ولكل زعيم يريد لشعبه السعادة والخير، وإنقاذه من ظلمات الجهل.

بنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "المسجد النبوي"؛ لتظهر شعائر الإسلام، وترتفع كلمة الحق، فتعطى بذلك مظهر المجتمع في عقيدته، كما أن هذا المسجد المكان الذي يتلقى فيه المسلمون أمور دينهم وتوجيهاته، والمُنْتَدَى الذي تتآلف فيه العناصر القبلية المختلفة التي باعدت بينها النّزعات الجاهلية، وتأخذ المفاهيم الإسلامية الواحدة، وتستقى الدروس من المبدأ الجديد، فكان مركز حزب الله، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يلقى المحاضرات المنتظمة في كل

أسبوع، وذلك في "خطبة الجمعة"، ثم محاضرات إضافية كلما دعت الحاجة إلى ذلك، أو عَنّ له – عليه السلام – أمر من الأمور ليوضح الخط، ويرسم الطريق، ويبين المنهج الذي يجب أن يسلكه الأعضاء، ومن هذا المنظور الإسلامي يجب أن تكون هناك جماعة مخططة ومنظمة بشكل دائم، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقف في وجه الانحراف والمنحرفين، فذلك هو صمام الأمن والأمان للوطن والمواطن.

وقد كانت جماعة المسلمين كذلك، كما كان رئيس التنظيم "محمد - صلى الله عليه وسلم – " وأعضاؤه صحابة رسول الله – عليه السلام – ورضي الله عنهم أجمعين، وبانتهاء جيل الصّحابة - رضي الله عنهم – بدأت زاوية الانحراف بالانفراج، وقد كان الانحراف يومذاك يسيراً، بيد أنه بدأ يتّسع، ويزداد بمرور الزّمن.

وإذا لم يكن تنظيم الصحابة قائماً بالمفهوم الحالي للتنظيم، إلا أنه موجود من حيث الفكرة، وطريقة التطبيق، حيث تلقى الجميع من مدرسة واحدة، ومن معلّم واحد، تلقياً بالسّماع، وتعلماً ليس بالرواية، وإنما بالعمل والتجربة والصّحبة، ومن هنا يجب أن يكون التلقي اليوم من مصدر واحد، والاستقاء من منهل واحد؛ كي تتوحد الأفكار، وتكون المشارب مشرباً واحداً، فإنه كلما كثرت المدارس، وتعددت المناهل، زاد الانفراج في زاوية الانحراف، ثم بدأ الاختلاف(١).

أعلن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – أن المسلمين أمة واحدة من دون الناس، بغضّ النظر عن الانتماءات للجنس أو العِرق أو الشّعب، وبغضّ النظر عن الّلغة التي يتكلمونها، المُهِمّ هو العقيدة الرّاسخة في النفس.

---

(١) جدد حياتك: للشيخ / محمد الغزالى السقا – بتصرف – ط: دار القلم – دمشق .

أقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الحكومة الإسلامية في المدينة، وكان – عليه السلام – رأس هذه الحكومة، يطبّق منهج الله، ويقيم حدوده، وكان أصحابه مستشارين ووزراء له، كما كان قائداً للجيش، فإذا سار إلى حرب عيّن أحد مستشاريه مكانه رئيساً للدولة بالنّيابة، وإذا مكث في المدينة عيّن قائداً للجيش، كما كان هناك مقرّ عامٌ لتلقى الفكر الإسلامي والتعاليم لمبادئ الإسلام، وإلقاء المحاضرات لتأكيد هذه المعاني في النفوس، فهو تنظيم وإعداد خاص بالأمة الإسلامية من دون الأمم.

وكان هناك مستشارون يرجع إليهم في الملمّات، وعقد المعاهدات، وتحديد الصّلات مع غير المسلمين، وكان بجانب ذلك يجمع إلى جانب هذه الأمور النواحي الدينية، فهو رسول الله للناس كافّة.

إن الإسلام يتمثّل جوانب الحياة من سياسية، ودينية، واقتصادية، واجتماعية [1]، بل تقع كلها في إطار الدّين، وتحت عنوانه، والرسول – صلى الله عليه وسلم – يُشرف على جميع هذه الجوانب، ويرعاها حق رعايتها، فلم يكن الرسول ليقصر في جانب على حساب جانب آخر، ولا يهمل جانباً لتقوية جانب آخر، وكذلك كان الخلفاء الراشدون من بعده.

ولم يحاول أحد من المسلمين أن يفصل الأمور السياسية عن الدين، فيقول كما قال بعض الحكام: "لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة". فبتلك الافتراءات استطاع الأجانب السيطرة على بلاد المسلمين وتحريكها مثل قطع الشطرنج، أو كالكرة التي يتقاذفها اللاعبون مرّة بالرّأس، وأخرى بالقدم، ففصل

---

(١) ذاته .

الدين عن الحياة من مصلحة المستعمرين، وتنحية الدين عن جوانب الحياة كما هو الحال في دينهم الذي لا تشريع فيه يوجد ازدواجية في الحكم، فرجال الدين لديهم يمارسون الطقوس الدينية على حين ينفرد الحكام بتسيير الأمور الدنيوية، وبذلك تكون هناك ازدواجية في السلطة، رجال الدين يشرفون على الأمور الدينية من داخل كنائسهم وصوامعهم، ورجال الحكم يشرفون على الأمور الدنيوية من داخل قصورهم، وعند نشوب خلاف لا بدّ من أن يرضخ أحدهم للآخر، الأمر الذي جعل صراعاً مريراً يقع بين الكنيسة والملوك، انتصر فيه الملوك في النهاية؛ حيث السلطة في أيديهم.

وفى كل عصر من الأعصر لا يعدم الحاكم الوسيلة للوصول إلى غايته عن طريق مَن يدّعى العلم، أو يتزيّا بزيّ العلماء، ففي كل مجتمع طلاب مصلحة، وهواة زعامة، وعشّاق مظهرية، وبخاصة ذلك الصّنف الذي لا يردعه رادع من كتاب أو سنة، أو ضمير أو خلق، حتّى عمّى الأمْرُ على بعض السّذج والبسطاء، فظنوا أن الدّين شئ، والسياسة شئ آخر، ونال أعداء الإسلام ما أرادوا في عزل الدين عن واقع حيوات المسلمين.

بيْد أن مجالات التحدي قد اتّسعت، ومرّت الحياة في المدينة بمرحلتين أساسيتين:

أولاهما: قبول التحدى من مشركى العرب ومن معهم من اليهود فى خطّ من الحصون ممتد من المدينة إلى تيماء، مروراً بوادى القرى، وخيبر، وفدك.

ثانيهما: قبول التحدّى من دولتى الفرس والروم، وبعض هذا التحدّى ما زال مستمراً حتى الآن فى صورة جديدة.

ثـم نـرى مرحلـة ثالثـة، وهـى "مرحلـة الكوفـة" الـتي اسـتغرقتها الحـروب الداخلية بين أمير المؤمنين "على بن أبى طالب" - رضي الله عنه - و"معاوية بن أبى سفيان" - رضي الله عنه- وبدت فيها بعض الثّمار المرّة لفتنة "عثمان بن عفان" - رضي الله عنه- وعن الصحابة أجمعين [1]. وأريقت فيها دماء ما زالت رطبة حتى الآن، وأزهقت أرواح، وعلى الرغم من هذه الصّراعات في عهد الخليفة الراشد "على بن أبى طالب" - كرم الله وجهه - فقد أرسل جيشاً فتح "السّند" عام ٣٩هـ/٦٦٠م .

ثم كان التحدّي في عهد بنى أمية أكثر اتّساعاً، وعلى الرغم من هذا حاولت "دمشق" أن تمسك بالمبادرة فى يدها، وقد تمثّلت التحديات فى الآفاق التالية:

أولاً : الصراعات الداخلية بين القوى الإسلامية:

ثانياً: تنظيم وتحديث الدولة، وضبط التّوازن بين الأصالة الإسلامية والعربية، وبين الحضارات التى لقيها الإسلام، وبخاصة ما كان فى الدولة الرومية.

ثالثاً: حماية الدولة الإسلامية برّاً وبحراً، ومدّ حدودها، ومن أجل هذا خاضت حروباً امتدّت شرقاً إلى الأطراف الغربية للصّين، وشمالاً حتى القسطنطينية، وغرباً حتّى المحيط الأطلسى، وعبرت جبل طارق حتى أدركت السّهول الجنوبية فى "فرنسة"، وهذا مع المحافظة على نواة عربية إسلامية تحمل المسئولية العليا، والقيادات متعاونة مع الشعوب التى قابلت الإسلام ديناً.

---

(١) الإسلام والعروبة فى عالم مبعثر : د/ عبد العزيز كامل ص١٦١ بتصرف .

وكانت صورة التحدى فى العصر العباسى قد أصابها تعديل جديد، برز فيه الوجه الحضارى، وحوار الحضارات كان عقلانيا أحياناً، عنيفاً دامياً أحياناً أخرى، وشهد العالم الإسلامى تمزّق وحدته السّياسيّة، وبرزت خطورة سيطرة العناصر التركية المجلوبة على الجيش، وسيطرة أُسَر عربية وغير عربية على أجزاء من الدولة، وأصبح مضمون الخلافة رَمْزاً أكثر من حقيقة واقعة، وانعكس هذا استقلالاً للمنتجين الحقيقيين فى الزراعة والصناعة والتجارة، وثورات وتطلعات إلى السلطة فى أقطار الدولة، مما مَهّد الطّريق أمام زوال الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨، على يد التتار، ومع بروز مراكز بديلة لبغداد فى قيادة أجزاء من العالم الإسلامي، إلا أن أكبر التحديات فى هذه المرحلة كان عسكرياً، وأبرز ما فيه الخطر التتارى والصّليبى، وقد استطاعت المراكز البديلة صدّ الهجمات والاحتفاظ بالوجود الأسمى، وإن تعددت فيها القيادات، ولو صحب التعدد تعاوناً لاستطاع أن يثمر الإسلام خيراً، ولكن الصراع الذى حدث بينها استهلك الكثير من طاقة الإسلام.

ولعل أخطر ما حدث هو سبق دول غرب أوربة إلى كشف العالم الجديد، والطّواف حول إفريقية، وحول العالم، وبهذا العمل أمكنهم تطويق العالم الإسلامى والضغط عليه، ثم اختراقه وتمزيقه فى قطاعاته الآسيوية والإفريقية والعربية، وأصبح التحدى هو: كيف تحافظ الدول الإسلامية على استقلالها وأكثرها عجز عن ذلك(١).

---

(١) ذاته ص١٦٢ - ط: الكويت فى ١٥ من يناير ١٩٨٩م كتاب العربى .

ثم جاءت تباشير الصّحوة الإسلامية مع القرن العشرين على مستوىً وطنى. ولكل قطر شأن يغنيه، واستطاع بعضها أن يعيد استقلاله، وقويت الموجة بعد الحرب العالمية الأولى، وعلت بعد الحرب العالمية الثانية، وإن استطاع الاستعمار أن يغرس خنجراً غائراً فى جسم العالم الإسلامى، بدأ بوطن قومى لليهود أفرخ قيام إسرائيل كقاعدة استيطانية توسعيّة، تتلقى المدد الدائم البشرى، والمادى والمعنىّ من عدد من الدول الكبرى، وتمثل تهديداً دائماً للعالمين العربى والإسلامى، ولها تعاونها المنتظم مع قاعدة مناظرة فى جنوب إفريقية.

ومع ثورة الاتصال المعاصر، وتوافر موارد اقتصادية فى بعض أجزاء العالم الإسلامى كالنّفط، ومزيد من الإحساس بالأصالة من ناحية والرّغبة فى التكتل الواعى من جهة أخرى، وقوة الإحساس الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامى، ظهرت الحاجة إلى تنظيم مجتمع جديد تبلور فى إنشاء "منظمة المؤتمر الإسلامى" بعد المحاولة الآثمة لحريق المسجد الأقصى فى عام ١٩٦٩م.

وما زال التحدى مستمراً بضراوة بالغة، ولا بد للمسلمين من الوحدة الشاملة، وإذا رجعنا إلى مقررات مؤتمر القمة الإسلامى الخامس، الذى شهدته الكويت فى يناير سنة ١٩٨٧م/ جمادى الأولى سنة ١٤٠٧هـ لرأينا صورة هذا الشمول الذى يضم الآفاق السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية، ثم هو ينطلق من نقطة مركزية هى "المسجد الأقصى، والقدس الشريف، وفلسطين الإسلامية العربية، لتنداح دوائره حتى تضم العالم الإسلامى كلّه، والجاليات الإسلامية فى مهاجرها الجديدة، وهى مقررات تعنى بالبشر كما تعنى بالأرض التى يعيشون فيها، وتربط بين الأصالة والنظرة المستقبلية، وتنظر إلى التراث ككيان له نموّه

وحيويته المتجددة[1]. فلا بد من العمل، يقول -تعالى-: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ...﴾ [سورة التوبة:١٠٥].

وإن دراسة الأحداث للاعتبار والذكرى، يقول -سبحانه وتعالى- : ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف:١١١]

ويفرض هذا كله على العالم الإسلامي في العصر الحديث تشكيل عقلية إسلامية واعية، قادرة على الإحاطة بهذه الأحداث كلّها، ولا بد من تضافر الجهود دولاً وجماعات وأفراداً، يعملون بروح الفريق الواحد عابرة الحدود السياسية والعصبيات والزعامات الواهمة، والتوترات الإقليمية، مع رعاية هذه العقلية، وتشكيلها حواراً متصلاً يستهدف مزيداً من الوعي بمشكلات العصر، ومسئولياتنا في عالمنا الإسلامي كحضارة متفاعلة مع المسيرة العالمية، ونود أن تصبح هذه العقلية تياراً قوياً قادراً على اجتذاب كثير من الطاقات التي تبدّدها الصراعات الضيقة، والطائفية والاهتمامات الجزئية الانعزالية، لتتوجه جميعاً إلى مقابلة التحدي الحضاري المفروض على العالم الإسلامي.

مع أننا إذا كنا نتجه نحو هذا الهدف فهناك من يحاول صرفنا عنه وتبديد طاقاتنا في مسارب جانبية، وهذا يفرض علينا مسئولية أخرى، وهي : مقاومة العقبات التي يصنعها الآخرون في طريقنا، فكرياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً، ومع هذا فإن الطريق طويل، وملئ بالأشواك، والعمل فيه لتحقيق آمالنا في احتياج إلى تنسيق كامل على الصعيد الإسلامي العالمي، ومبدؤه الإنسان المسلم

(١) ذاته ص١٦٣ .

في قطاعاته الأربعة: العربي، والأفريقي، والآسيوي، وجاليات المهاجر الجديدة[1]. وفى اهتماماته المتكاملة.

وأَوْلى الهيئات بشئون تنظيمه ومتابعته هي "منظمة المؤتمر الإسلامي". والأمل الكبير في أن تقوم "الكويت" في الدورة الخامسة لرياستها المؤتمر بدورٍ رائد نحو هذا الهدف المنشود.

---

(١) ذاته بتصرف ص١٦٤ وما بعدها .

الثَّورةُ التونسيَّة



مدخل

إن الظلم ظلمات يوم القيامة، فلما خيّم الظلم، وغابت العدالة، وسيطر الفقر المدقع على الشعوب العربية، ورزح الشعب تحت نير الذل، والاستعباد، ورتع في قيود الفقر والاستغلال هبّ الشعب من غفوته، واستيقظ من رقدته، وهاج كما يهيج البحر المتلاطم الأمواج، وصار كالأسد الهصور إذا ما أنشب الأظفار في أسد هصور ليزيح الظلم، ويقضي على الفساد، وسقطت تلك الأنظمة بعد إراقة الدماء، حيث إن الحرية لا تمنح من الحكام للشعوب، وإنما تنال الحرية بالدم المهراق، يقول الشاعر "أحمد شوقي":

وللحرية الحمراء باب ... بكل يد مضرّجة بدم

فالعدل أساس الملك، ولقد وصّى "الحجّاج بن يوسف الثقفي" "طارق بن عمرو" فقال له في وصيّته: "إذا ولّاك أمير المؤمنين أمر "مصر"، فعليك بالعدل، فهم قتلة الظلمة، وهادموا الأمم، وما أتى عليهم قادم بخير إلا التقموه كما تلتقم الأم رضيعها، وما أتى عليهم قادم بشرّ إلا أكلوه كما تأكل النار أجفّ الحطب، وهم أهل قوّة وصبر وجلد، وتحمل، ولا يغرنك صبرهم، ولا تستضعف قوتهم، فهم إن قاموا لنصرة رجل ما تركوه إلا والتاج على رأسه، وإن قاموا على رجل ما تركوه إلا وقد قطعوا رأسه، فاتق غضبهم، ولا تشعل ناراً لا يطفئها إلا خالقها، فانتصر بهم، فهم خير أجناد الأرض، واتق فيهم ثلاثاً:

الأولى: أرضهم: وإلا حاربتك صخور جبالهم.

ثانياً: دينهم: وإلا أحرقوا عليك دنياك.

ثالثاً: نساؤهم: فلا تقربهم بسوء، وإلا أهلكوك كما تهلك الأسود فرائسها.

وهم صخرة في جبل كبرياء الله، تتحطم عليها أحلام أعدائهم وأعداء الله".

وهذه الثورات هبّت في البلاد العربية لتقاوم الظلم، وتشيع العدل، وتحارب الفساد الذي خيّم على هذه البلاد منذ أمد طويل، وكان أوّل هذه الثورات:

ثــــورة تــــونـــس :-

ففي دولة "تونس"، وهي دولة عربية، كان يحكمها الرئيس "زين العابدين بن علي"، ومكث على صدر الشعب مدة طويلة، وردحاً من الزمان، ينهب خيراتها، ويسرق مالها، وعاش الشعب التونسي تحت وطأة حكمه أمداً بعيداً، يرزح في الظلم والاستعباد، والضيق والفقر.

فلما بلغ السيل الزبا، هبّ الشعب التونسي من غفوته، واستيقظ من نومته، وتجمع الشعب بكل أطيافه؛ مما جعله مضطراً للرحيل، وذهب إلى المملكة العربية السعودية لاجئاً سياسياً، بعد أن غادر البلاد مكرهاً، كما حمل معه من المال ما تضيق به خزائن "قارون" وأمثاله: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [سورة القصص:٧٦]، فلم يرعوى، ولم يتب ، إنما تعالى وبغى وتكبر، وعاث في الأرض فساداً بماله وتجبّر، فكان جزاؤه من الله - عزَّ وجلّ - ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة القصص:٨١].

فكان الخسف برحيل "زين العابدين بن علي" عن "تونس" مسقط رأسه، ومدرج صباه، وخرج منها مذموماً مدحوراً، وانتقلت السلطة إلى الشعب؛ ليحكم نفسه بنفسه، وانزاح الظلم، وغاب الفساد، وأشرقت الأرض التونسية بالحرية، والديمقراطية، وحكومة جديدة تعمل على إقامة العدل، وإسعاد الشعب.

وبعد الثورة التونسية هبّت رياحها، وعبق أريجها، وأتت إلى "مصر"؛ لتزيح الظلم والظلام، والفساد والإفساد، حيث رزحت "مصر" تحت هذا الظلم "ثلاثون

عاماً" في ظلم نظام فاسد يقوده الرئيس الأسبق "محمد حسنى مبارك"؛ حيث مكث يحكم "مصر ثلاثين سنة مع عصابة لا تعرف الخوف من الله، فأفسدت الحياة السياسية في "مصر"، فقد كان الناجح يسقط، والساقط ينجح في ظل الحزب الوطني الديمقراطي، وفى الحقيقة لم يكن الحزب ديمقراطياً، ولا وطنياً، فلم يرع حقوق الله في الشعب، حيث إنهم ظلموا العباد، وسرقوا البلاد، ولم يراعوا حرمة المال العام، الذي هو في الحقيقة ملك للشعب، وعاش الناس في ضيق وفقر، وأصبحت الدولة – أو المعنى الدقيق أصبح الشعب – فريق في الجنة وفريق في السعير، فريق يعيش في بحبوحة من العيش ورغد الحياة، وقد امتلأت جيوبهم بالملايين بل بالمليارات، وتضخمت ثرواتهم، وبسطوا نفوذهم، وتناسوا شعبهم، ولم يتذكروا بل لم يفطنوا إلى حرمة الأموال التي قال فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في خطبته في حجة الوداع، حيث قال – صلى الله عليه وسلم – : "إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام".

الجملة هنا جملة اسمية، مؤكدة بإن، وخبرها جملة اسمية قدم فيه الخبر "شبه الجملة" على المبتدأ "عليكم حرام"، وفى رواية البخاري: "فإن دماءكم وأموالكم"، قال "محمد" راوي الحديث: "وأحسبه قال: وأعراضكم عليكم حرام"[1].

وفى رواية "الواقدى" – وهى تنتهي إلى "عمرو بن يثربي"، وعبد الله بن عباس" – جاء الخبر جملة فعلية فعلها ماض مسبوق بـ "قد": "إن الله قد حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم"، ففيها تأكيد مضاعف، وداعي التوكيد هنا الرغبة في توثيق هذا الأمر في النفوس، وتثبيته في القلوب في هذا اللقاء الجامع، الذي

---

(١) صحيح البخاري بشرح الكرمانى ٢١٢/١٦ .
- وفتح الباري ١٠٨/٨ .
- وأيضاً : من أسرار البيان النبوى : د/ أحمد محمد على ص٨١ .

لا يتكرر مرة أخرى، ومن المعروف أنه في المدة التي تلت فتح "مكة" وغزوة "حنين" قد دخلت الوفود في دين الله أفواجاً، وكثير ممن كان في صحبة الرسول - صلى الله عليه وسلم – يوم حجة الوداع لم يكن قد انفصم عن ماضيه الذي كانت تستباح فيه الدماء والأموال والأعراض، على الأقل بالنسبة للقبائل المعادية، فكان لا بد من هذا التأكيد.

وفى النهاية انتصرت إرادة الشعب التونسي في إزاحة الظلم والظالمين، وذلك بتصميم الشّعب التونسي على الحصول على حريته، والتي صودرت من جهة "زين العابدين بن على" ونظامه المتسلط على الشعب التونسي رَدَحاً طويلاً من الزمان، ولكن سرعان ما انجابت الغمة، وانجلى الكرب، واستجاب القدر للشعب التونسي، فانزاح الظلم والظّلام، وصدق الشاعر التونسي "أبو القاسم الشابى" حين قال موجّهاً ومرشداً الشعوب بأسرها إلى قوة الإرادة والإصرار، والصّمود حتى يحقق ما يصبوا إليه، فقال:

إذا الشـــعب يومـــاً أراد الحيـــاة فــلا بــدّ أن يســتجيب القـــدر

ولا بـــدّ للّيـــل أن ينجلـــي ولا بـــدّ للقيـــد أن ينكســـر

فلقد استجاب القدر، وانجلى الليل، وانكسر القيد، ورحل الظّلم والظّالم، وانتصرت إرادة الشعب المكافح في سبيل نيل حريته.



الثورة المصرية

مدخل

يقول الله - عزَّ وجلّ - فى محكم كتابه الكريم: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٨١]، لما استفحل الخطب، وادلهمَّ الليل، وبلغ الحزام الطبيين، وجاوز السيل الزبى، وبلغت القلوب الحناجر، تأذن المولى - سبحانه وتعالى - أن ينجلي الليل، وينقشع الظلام، وتخبو شعلة الباطل، وتسطع شمس الحق، وذلك بأسباب تدع اللبيب حيراناً، وهى نخبة من الشباب الثائر - وإن شئت من الشباب الذي قتله اليأس والجوع أو كاد - حيث نام حاكم مصر الأسبق "حسنى مبارك" ونظامه عن مسئوليته حيال هذا الشباب، بل باتوا يغطون في نوم عميق، غاضّين الطّرف عن مسئولياتهم الحقيقية، وانصرفوا إلى شهواتهم، والجري وراء ملذّاتهم، وناموا ملء الجفون عن رعاية هذا الشعب، حتى أصبح فى ظلال دولتهم فريق فى الجنة وفريق فى السعير، فسرقوا المال، ونهبوا البلاد، وظلموا العباد، ونشروا الفساد، وأحسب أن الشاعر عناهم بقوله:

نامت نواطير مصر عن ثعالبها   حتى بشمن وما تفنى العناقيد

فقامت ثورة الجياع أو المحتاجين، وذهبوا إلى ميدان التحرير، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، ولأمر أراده الله - تعالى - توسعت الاحتجاجات، فى البداية لم تكن الثورة تقصد إسقاط النظام القائم، إنما كانت لها مطالب معروفة، وهى الحرية والعدالة الاجتماعية، والقضاء على البطالة، وكان المقصود مجرد وقفة اجتماعية بهذه المطالب فى يوم عيد الشرطة، لكن تدبير الله فوق كل تدبير، ومكر الله فوق كل مكر ﴿... وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة

الأنفال:٣٠] ، فإن المكر فى جانب الله معناه التدبير، فامتدت الاحتجاجات لكثرة المظالم وعموم الفساد، كما قال الشاعر:

إن المصائب تجمعن المصابينا

والتهبت الجمهورية المصرية، واتسع الخرق على الراقع، فغطت جميع المحافظات، ثم علا ثقف المطالب حتى صار الشعار "الشعب يريد إسقاط النظام"، ولا يستطيع أن يدعى مدع بأنه صاحب الثورة، فهى لم تكن ثورة فى أول الأمر، لكن الله أرادها، وسبب لها وهيأ لها من أمور النجاح ما يعجز عن فهمه اللبيب، وتقدرون فتضحك الأقدار، حتى صار من يريد إخمادها يزيد فى إشعالها، وذلك واضح جلى فى بيانات الرئيس المخلوع "حسنى مبارك".

ثم كان لا بدّ مما ليس منه بد، وهو أن يترك الرئيس الحكم، وقد فعل بعد أن ولّى نائبه اللواء "عمر سليمان" مدير المخابرات الأسبق، والذى كان فى توليته قضاء عليه؛ لأنه انتسب إلى النظام السابق، وكان لا بد أن يرحل معه، فرحل وتولى الأمر المجلس الأعلى للقوات المسلحة بقيادة المشير "محمد حسين طنطاوى" القائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع.

وأظهرت الثورة فى أولها المعدن الطيب لهذا الشعب، وروح التعاون، حيث ظهرت ما يعرف "باللجان الشعبية"، والتى كانت من أبناء هذا الشعب، الذين نظموا كل شئ، وساهموا فى ترتيب وتنظيم شئون الناس كل فى مكانه، ولو ظل الأمر كما هو لكان حسناً ، ولكن وللأسف وجدنا الناس كأنهم كانوا نياماً نوماً جميلاً ثم استفاقوا، وحدثت الفوضى حيث ظهرت البلطجة فى كل ربوع مصر، وعلا صوت المطالب الفئوية، والمصالح الذاتية، فتوالت الاعتصامات والاحتجاجات

والمظاهرات، وقطع الطرق، والسلب والنهب فى كل مكان، والاعتداء على الأعراض والأموال، واستباحوها، وصرنا كما قال المثل: "انج سعد فقد هلك سعيد".

وتخلت الشرطة عن مسئوليتها، وضاع الأمن، وغاب الأمان، وهو فى الحقيقة وللإنصاف لم يكن انفلاتاً بقدر ما هو انفلات خُلقى من طوائف الشعب المختلفة، فعلى الشعب وخاصة الدعاة إلى الله - عزّ وجلّ - العمل على القيام بثورة على الفوضى والانحراف، والدعوة إلى الخلق الإسلامى، وإشاعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حتى يعيش الناس جميعاً فى ظلال دولة إسلامية خلقية، سياجها قول النبى - صلى الله عليه وسلم - : "إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق". فنحن نطالب بثورة أخلاقية تدعم الثورة المصرية.

فكما بلغ الحزام الطبيين، وطفح الكيل، وامتلأت الكنائن بالسهام أثارت الثورة التونسية حفيظة المصريين، وهو شعب حساس، مدرك وواعٍ، وهو ثائر طيلة حياته، اتصل الشباب بعضه ببعض على المخترع الحديث الذى يدعى "الفيس بوك"، وتجمعوا فى ميدان التحرير لمقاومة الفساد، والمطالبة بالعدل، فصدرت التوجيهات من الرئيس السابق "محمد حسنى مبارك" لفض هذه المظاهرة، والقضاء على ذلك التجمع لوزير الداخلية فى ذلك الوقت "حبيب العادلى"، فاستهان بالأمر، وخيّل إليه أنها "زوبعة فى فنجان".

وفى اليوم الثالث نزلت "جماعة الإخوان المسلمون" وكبير ظنى أنهم أعطوا الضوء الأخضر للنزول فى الميدان، أو أنهم أطمأنوا إلى أن المظاهرة ستستمر، وقد استغاث الرئيس الأسبق بالقوات المسلحة، بعد مكالمة هاتفية تمت بينه وبين وزير

الداخلية الأسبق، وقد شتمه بأمه كما جاء ذلك فى الصحف الرسمية، وقال له: "سأنزل الجيش يا ابن كذا..."، وشتمه بأمه، فقال له الوزير: "خلى الجيش ينفعك".

وقد نزلت القوات المسلحة ميدان التحرير بأسلحتها الواضحة، وانضم الجيش إلى الشعب، وصاروا يداً واحدة ضد الحكم الفاسد؛ وذلك لأن الجيش يعلم بواطن الأمور، ويستشعر الفساد الموجود أكثر من غيره، ففى رأينا هو "قلب نظام حكم مقنع"، بمعنى أن الجيش لمعرفته بوجوه الفساد، وهى كثرة كاثرة انضم إلى الشعب لإزاحة النظام – ذلك الكابوس الذى جثم على صدر الشعب ثلاثين سنة، مما أجبر الرئيس على التنحى، ثم تعيين السيد "عمر سليمان" مدير المخابرات وقت ذاك نائباً لرئيس الجمهورية، ثم ترك منصبه، وأسند السلطة إلى المجلس الأعلى العسكرى بقيادة سعادة المشير "محمد حسين طنطاوى" والسيد اللواء أركان حرب "سامى عنان" ورفاقه.

واستطاع المجلس العسكرى أن يدير البلاد باتزان، وعقلية راجحة، وصبر وجلد، وتحمل فى ظروف صعبة تمر بها البلاد.

ولكن الشعب مع الأسف لم يكن عند حسن الظن، فرأينا فى كل يوم اعتصاماً، وإضراباً، وبلطجة، حيث فتحت السجون على مصراعيها، فخرج منها المسجونون بكل طوائفهم، فقطعوا الطرق، واستباحوا الأعراض، وهجموا على الآمنين فى كل مكان، وقاموا بالسلب والنهب، وارتكاب الجرائم بكل أنواعها، وشتى صنوفها، وتباين ألوانها، ومختلف صنوفها، وشلّت يد الأمن تماماً، مما زاد الطين بلّة، والأمر ضغثاً على إبّاله.

وفى هذا المشهد يقول الحق – سبحانه – : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة آل عمران:٢٦] .

ونحن إذا ما تأملنا هذه الآية نجد قول الله – تعالى – : ﴿... تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ...﴾ بميم واحدة، و"تنزع الملك ممن تشاء" بثلاث ميمات، وهذا دليل على أن العطاء سهل، والنزع من الأمور الصعبة، وما ذلك إلا لأن الله – عز وجل – بيده وبقدرته الخير؛ لأنه على كل شئ قدير.

ولما اغترَّ "فرعون" بالعظمة والسلطان والأنهار التى تجرى من تحته، فأهلكه الله بجنس ما تكبر به هو وقومه، وكان ذلك بالغرق بماء البحر، وفيه إشارة إلى من تعزّز بشئ أهلكه الله به، فجعلنا قوم فرعون قدوة لمن بعدهم فى استحقاق العذاب والدمار، ومثلاً يعبرون به؛ لئلا يصيبهم مثل ذلك، وفى هذا المعنى آنف الذكر يقول الله – عز وجل – ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الزُّخرُف:٥٥: ٥٦]

يقول "مجاهد": "سلفاً لكفار قريش يتقدمونهم إلى النار"، وعظة وعبرة لمن يأتى بعدهم[1].

وكذلك الرئيس الأسبق "محمد حسنى مبارك" كان قد اغترَّ بالجيش والشرطة، ضارباً عرض الحائط بالشعب وطبقاته، فكانت العبرة والعظة أن أذله الله بالجيش والشرطة، حيث تخلت الشرطة عنه، وكذلك الجيش بانضمامه للشعب، ومؤازرته إياه ونصرته لثورته، وآثر حقن الدماء، وفضل إزاحة النظام.

---

(١) تفسير القرطبى ١٠٢/١٦.

وتولى رياسة الوزراء من التحرير الدكتور "عصام شرف"، ولم يمكث فى الوزارة مدة طويلة؛ حيث طلب المتظاهرون بتنحيته، وكان قد تولى من قبله الفريق "أحمد شفيق"، وزير الطيران الأسبق، وهاجت هائجة المتظاهرين عليه، فترك الرجل منصبه غير آسف عليه.

ثم جاء بعد الدكتور "عصام شرف" الدكتور "كمال الجنزورى"- رئيس الوزراء الأسبق ووزير التخطيط من قبل، وتولى رياسة الوزراء فى ذلك الليل المدلهم، والخطب والفادح حيث الانفلات الخلقى الذى شاع فى كل الأوساط؛ حيث البلطجة، وانتهاك الحرمات، والسلب والنهب، مما جعل "مصر" فى حالة لا تحسد عليها، من انعدام الأمن، وعدم الاستقرار، وحالة الاقتصاد السيئة.

ثم أجريت الانتخابات "لمجلس الشعب"، وحاول البعض إفسادها؛ حيث نزلت مجموعات فى ميدان التحرير، وشارع محمد محمود، والقصر العينى، وماسبيرو، كل ذلك لإشاعة الفوضى، وعدم الاستقرار، ولتعطيل الانتخابات، بيْد أن المجلس العسكرى صمم وعزم على إجراء الانتخابات فى مواعيدها المحددة سلفاً.

وأجريت الانتخابات بنجاح تام، فإن دلّ هذا فإنما يدل على صرامة القوات المسلحة، وقوة شكيمتها، وصلابة إرادتها، فتمت العملية الانتخابية بنجاح منقطع النظير رغم عبث العابثين، وإفساد المفسدين الذين تقاضوا أموالاً، وأجوراً للقيام بإحداث الشغب فى شوارع القاهرة وأحيائها، ولكن العزائم القوية والنيات الصادقة لدى المجلس العسكرى والمؤيدين له من أبناء الشعب المخلصين تصدوا لهذه الأحداث بعقل وفطانة، وكياسة وذكاء، مع نداءات مخلصة من الدعاة بجميع القنوات الفضائية، والمقالات فى الصحف، ونداءات الأغلبية الساحقة من الشعب

المطالبة بالحفاظ على "مصر"، وعلى جيش "مصر"، فهم خير أجناد الأرض، وهم فى رباط إلى يوم القيامة، وإذا كان لنا من رأى حيال هذه الأحداث فنقول:

على المجلس العسكرى أن يأتى برئيس للدولة وفى جعبته هذه النقاط:

أولاً: مصادرة جميع الشركات والمصانع التى بيعت باسم "الخصخصة" بثمن بخس دراهم معدودة، وكانوا فى الشعب من الزاهدين.

ثانياً: عودة القوى العاملة حتى يتساوى الفقير بالغنى فى التعيين، وفى ذلك قضاء على الوساطة والرشوة، فعن "أبى حنيفة النعمان بن ثابت" فقيه العراق وصاحب المذهب المعروف بالمذهب الحنفى، حيث يقول: "أيما إمام ارتشى وجب عزله، وبطل كل حكم كان قد حكم به لأنه يعد فاسقاً، ولا تجوز حكومة الفاسقة".

ثالثاً: يكون هناك سقف للمرتبات "أعلى وأدنى".

رابعاً: من تخطى سن المعاش ولم يسبق له التعيين فى الحكومة يمنح مكافأة لا تقل عن "ألف جنيه" كى يستطيع مواجهة أعباء الحياة.

خامساً: إصلاح التعليم، وخاصة الأزهر جامعاً وجامعة.

سادساً: إقامة الحدود، ولو انحصر ذلك أو أنهم بدءوا بحد القتل، فإن بقية الحدود فيها نظر بالنسبة للمجتمع الذى نعيش فيه الآن (فقر، وبطالة، وحالة اقتصادية سيئة)، فقد رأينا سيدنا "عمر بن الخطاب" – رضى الله عنه – يعطل حد السرقة فى "عام الرمادة"، حيث أجدبت الأرض ولم تنبت وعمّ القحط، فكيف يقيم حد السرقة على جائع ؟!!

إن البطون الجائعة لا يشبعها قال الله وقال الرسول، وقد رأينا فى "أفريقية" وفى بعض بلادها من يصبح مؤمناً ويمسى كافراً من جراء الجوع القاتل والحاجة الشديدة.

كما نرى نحن أنه من الواجب أيضاً مصادرة جميع ممتلكات أعضاء مجلسى الشعب والشورى، ومحاسبتهم على ممتلكاتهم من عام ١٩٨١م حتى تاريخه؛ لأن مكاسبهم هذه تعد ملكاً للشعب فى ظل نظام فاسد، وحكومة ظالمة.

وذلك مثل "الأراضى التى بيعت لهم بثمن رمزى، وأقاموا عليها أبراجاً، وقرى سياحية، ومزارع خيالية".

سابعاً: إعادة بناء القوات المسلحة، وتزويدها بالأفراد والمعدات والزخائر؛ لأن مصر مستهدفة، ولكن لن يستطيع أحد أن ينالها بسوء؛ حيث يقول الله – تعالى– :

﴿...ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة يوسف:٩٩].

يقول الراغب الأصفهانى: فى كتابه "مفردات غريب القرآن": "والمراد بـ"مصر" مصر المحروسة".

إحراق المجمع العلمى

يجب على الناس الثورة ضدّ الفساد؛ لإزاحة الظلم، ومحاربة الفساد، وإقامة العدل حتى يعيش الشعب فى رخاء، وأمن وأمان حقيقيين، بَيْد أنّ الثائر الحقّ يجب أن يثور ضدّ الفساد، ثم يهدأ ليبنى الأمجاد، لكن الاستمرار فى المظاهرات والاعتصامات، والاعتداء على الحرمات، وإزعاج النّاس، وترويع الآمنين ليس من الإسلام فى شئ، بل هو الفوضى بعينها، فهو بحق انفلات أخلاقى، ومنها مثلاً: "حرق المجمع العلمى" دينكم التّراث العلمى العظيم، تراث الأمة العربية، والمصرية بخاصة، حيث إن الكتب العلمية التى قام بإحراقها، وإشعال النيران فيها على يد فئة ضالّة من الشباب الذى لا يعى قيمة هذا التراث، ولا يعرف أن ذلك تاريخ الأمة.

لقد ذكّرنى ذلك بالتتار الذى اجتاح "بغداد" بقيادة "هولاكو"، حيث إنهم جمعوا الكتب التّراثية من مكتبات "بغداد" منارة العلم والمعرفة، وألقوا بها فى نهر "دجلة" حتى تغيّر لون الماء من المِداد الذى اختلط بالماء، وعبروا عليها بخيولهم، ولم يدر هؤلاء أنهم دفنوا حضارة أمّة، بل حضارة الإسلام الذى انتشل العرب من جهالة جَهْلاء، وأميّة نكراء إلى نور العلم والمعرفة، وإلى الرُّقىّ والتمدّن والحضارة، حيث لا سبيل إلى التمدن والحضارة إلا بالعلم.

يقول الشاعر:

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم ... لم يُبْن ملك على جهل وإقلال

وسُئل "الخليل بن أحمد الفراهيدى": أيهما أفضل: العلم أم المال؟

فقال "الخليل بن أحمد الفراهيدى": العلم أفضل.

فقيل له: لم نر العلماء يزدحمون على أبواب الملوك؟!

فقال: لأن العلماء يعرفون حقّ الملوك، والملوك يجهلون حقّ العلماء.

ثم أنشد قائلاً:

العلم يحيى قلوب الميتين كما ... تحيا البلاد إذا ما مسّها المطرُ

والعلم يجلى سواد القلوب كما ... يُجلّى سوادَ الظّلمة القمرُ

فكيف ترقى أمة بدون العلم؟! وإذا ما أحرقنا الكتب وطمثنا تاريخنا، وقمنا بدفن حضارتنا، كيف نَرْقى؟ وما سبيلنا إلى التقدّم والرّفعة ومسايرة ركب الحضارة؟!! إن هذا العمل الإجرامى فى حقّ مصر وشعبها وحضارتها بإحراق التراث والمجمع العلمى، لجريمة لا تغتفر، ويجب محاسبة مرتكبها، ومحاكمة من دفعوا هذا الشباب الطائش الذين ارتكبوا هذا الجريمة الحمقاء، لا بدّ من الاعتراف بأن يداً خفية تلعب فى الظلام لتخريب هذا البلد، وتحطيم حضارته، وطمث معالمه الحضارية عن طريق "حرق التراث العلمى" فى المجمع العلمى، فمن هذه اليد؟ ومن القادر على محاكمتها؟ إنه "المجلس الأعلى العسكرى"، والذى نرجو له التوفيق والسّداد؛ للنهوض بالبلاد، وإقالتها من كبوتها، وإسعاد العباد.

ونتساءل أخيراً: ما الفارق بين التتار الذى أحرق تراث بغداد، وبين الذين قاموا بإحراق "المجمع العلمى"؟ إنهم تتار جُدد، فمن الواجب مقاومتهم، ومحاسبتهم؛ لأنهم بذلك يحرقون أمة، ويقضون على حضارة شعب عريق، هو شعب "مصر المحروسة".

مباراة الأهلي والمصري

ومن الأحداث المفزعة، والتى مُنيت بها مباراة النادى الأهلى والنادى المصرى البورسعيدى، والتى أقيمت فى مدينة "بورسعيد"، وحضرها كثرة كاثرة من محبّىَ ومشجّعى الناديين.

وقد شاهدتُ ورأيت رأى العين فى القنوات الرياضية أن السيارات التى كانت تُقل اللاعبين والإداريين من النادى الأهلى تُرشق بالحجارة مِن شباب قوىّ فتىّ – هذا قبل بدء المباراة – وكان ذلك نذيراً من النُّذر الأولى التى توحى بالشغب والانفلات الخُلُقى.

وبالفعل كان هناك انفلات خُلُقى وأمنىّ أيضاً، حيث بدأت المباراة، وتقاذف اللاعبون الكُرة، وأحرز النادى الأهلى "هدفاً"، ثم استمرّت المباراة فى هدوء نسبىّ حتى أحرز النادى "المصرى البورسعيدى" ثلاثة أهداف متتاليات، وهنا اهتزَّ لاعبو "الأهلى"، حيث إنهم قرءوا المباراة، و"السيناريو" الذى بدأ بإلقاء الطوب عليهم من المدرجات، وإشعال "الشماريخ" والمواد الملتهبة، مما جعل اللاعبين من النادى الأهلى يتركون المباراة للنادى "المصرى"، ورضوا بالهزيمة، بُغية الخروج من مدينة "بورسعيد" بالسلامة والأمن، والنجاة بأرواحهم، وما هى إلا هُنَيْهَة وأطلقت صافرة الحكم الكابتن "فهيم عمر" بنهاية المباراة، وفوز النادى "المصرى"، ثم شاهدنا ورأينا الجمهور قد نزل الملعب، جرياً وراء اللاعبين من النادى "الأهلى" والإداريين، حتى إنهم تمكّنوا من الاعتداء على بعض اللاعبين، مثل الكابتن "شريف إكرامى" حارث مرمى النادى الأهلى، ونجا اللاعبون بقدرة الله عز وجل.

لكـن الفاجعـة الكـبرى أننـا فوجئنـا بخمسـة وسـبعين شـهيداً ذهبـوا إلى "بورسعيد" للمتعـة والاستمتاع بالرياضـة، ولكنهم آبـوا إلى القبـور، مخلِّفـين وراءهـم حُزناً وجُرحاً غـائراً عميقاً فى نفـوس الشعب المصرىّ كلّه، الذى توحِّده الأحداث، وتجمعه المصائب، ويقف وقفة رجل واحدٍ أمام النوازل والأحداث.

ثـم نُبِّئنا مـن خـلال الإذاعـات والقنـوات الفضـائية أنّ هـذه مـؤامرة نُسجت بليـل، وحِيكت فـى الظـلام الـدامس؛ لزعزعـة أمـن الـبلاد، والرجـوع بهـا إلى الـوراء، وتحطيم اقتصـادها، وقتـل أبنائهـا، وعـيش مواطنيهـا فـى ذعـر وهلـع وخـوف، وعـدم استقرار.

وتحدَّث المتحدثون فى جميـع وسـائل الإعلام المقـروءة، والمسموعة، والمرئية بأنها مؤامرة، ويُلقون العبء كل العبء على وزارة الداخلية.

بَيْد أننا نقول فى صراحة ووضوح: إن المسئولية مشتركة؛ حيث كـان السيد محـافظ "بورسعيد" معزوماً على "الغداء" لدى أسرة مـن الأسر البورسعيدية – كما وافتنا بذلك القنوات الإخبارية – ومدير الأمن ينام ملئ الجفون فى مكتبه المكيَّف، وأمّا أجناده وضباطه الذين كُلِّفوا بحراسة المباراة، فإن حضورهم يشبه غيـابهم، فهـم الحاضرون الغـائبون، حيث لم نر واحداً منهم حـاول صدّ أو الوقـوف فى وجـه واحد من الذين نزلوا إلى الملعب، ووقفوا متفرجين، وبدا لنا من خلال استقرائنا للأحداث أن ما حدث مؤامرة خسيسة مدبَّرة مسبقاً؛ للكيد والنيل من البلاد والعباد، والحقّ أحقّ أن يُتَّبع، فنقرّر ما يلى:

أولاً: أن الأمن خائن للأمانة، فالتقصير والإهمال يُعَد خيانة للأمانة من منظور إسلاميّ، وهو قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "كلكم راعٍ، وكل راعٍ مسئول عن رعيّته".

ثانياً: إدانة الشعب البورسعيدى بأجمعه؛ حيث كان فى مُكْنته إن يدافع عن جمهور النادى الأهلى، وعن اللاعبين والإداريين والمشاهدين، ولو أنه فعل ذلك لكانت الخسائر خفيفة، فما شاهدناه قبل المباراة فى الشارع من احتقان واضح فى رجم الطوب، وإلقائه على سيارات النادى الأهلى الذى يُقل اللاعبين والإداريين، مما أدى إلى الانفجار فى الملعب دون أن يتدخل أحد من الأمن أو جمهور "بورسعيد".

ثالثاً: أنها مؤامرة بكل المقاييس، والجانى فيها هو "محافظ بورسعيد"، و"مدير الأمن"، و"مدير مباحث المديرية"، و"رئيس مباحث المديرية"، و"إدارة النادى المصرى"، "والجمهور البورسعيدى" الذى وقف مكتوف الأيدى، بل كان متفرجاً على الأحداث الدامية التى أصابت شعب مصر بأسره، وخاصّة "الرياضة" فى مصر بشتّى صنوفها، ومختلَف أنديتها بالكآبة والحزن، وكَسَى السواد الأجساد والقلوب، ندعو الله - عز وجل- أن يجعل مصر بلداً أمناً مطمئناً يأتيه رزقه رغداً من كل مكان.



الثورة الليبية



وكأن العدوى قد سرت، والظواهر الصحية قد انتشرت، وفى رأينا أن المشاعر مشتركة، وأن الظلم عمّ المشرقين ومغربا، فها هو ذا حاكم مصر الأسبق "محمد حسنى مبارك" حكم مصر ثلاثين سنة بالحديد والنار، وحاكم "ليبيا" حكم ليبيا العربية اثنان وأربعون عاماً. كل ذلك والشعب مكبل بالأغلال، يرزح تحت نير الاستغلال والعبودية، وتكميم الأفواه، وكبت المشاعر، وكما قيل: "إن الكبت يولد الانفجار"، وفعلاً قد انفجرت الشعوب العربية، وحثت التراب فى وجوه حكامها.

ومن بين هذه الدول وتلك الثورات "ثورة ليبيا العربي"، حيث منى الشعب الليبى بحاكم أشبه ما يكون عقليته قريبة جداً من عقلية الأطفال، يظهر ذلك ويلمحه الإنسان دون عناء فكر فى ملابسه التى كان يظهر بها، فالإنسان لا يستطيع أن يعد هذه الملابس، فتارة يلبس "حُلَّة" – يعنى "بدلة" بلغة العصر الحديث – وتارة أخرى "عباءة" وعمائم مختلفة، وملابسه متباينة مما يدل على عدم الاتزان، وأنه لا يملك فكراً سليماً يقيس به الأمور، بل ولم يحكم عقله فيما يجرى حوله فى الدول الأخرى، ذينكم الرئيس "العقيد/ معمر القذافى".

فهبّ الشعب فى ليبيا يطالب برحيل "القذافى" وإسقاط النظام، فانبرى لهم هو وأولاده وقبيلته، وبعض القوات المسلحة فى جيشه، ودار قتال مرير راح ضحيته عشرات الآلاف من الشعب، وهو يخرج فى الإذاعة المرئية – يعنى "التلفاز" ويقول: "سأقاتل من بيت إلى بيت، ومن شارع إلى شارع، "ومن زنقة إلى زنقة"، ومعى سلاحى.

ولمّا ادلهمّ الخطب، واكتست أجواء "ليبيا" بالظلام الدامس، وأهريقت الدماء فرُمِّلت النساء، ويتم الأطفال، وسكتت الألسنة فى ميدان القتال والمقاومة

من الشعب الليبى للسلطة، وسمع الناس دوىّ القنابل، وقصف المدفعية، وصوت الرصاص، وقعقعت السلاح، وفى هذا الوقت يتبرع السيد "عمرو موسى" الأمين العام لجامعة الدول العربية فى ذلك الوقت بنداء، واستغاثة والمطالبة بتدخل أجنبى لحل مشكلة "ليبيا"، وفى ذلك الوقت سرعان ما استجاب "حلف النيتو"، وتدخل فوراً؛ لأن ذلك بالنسبة له أمنية وحلم تحقق؛ حيث إرهاب الشعب العربى، ونهب خيراته، وخاصة بترول ليبيا.

وإننى أحترم السيد "عمرو موسى" وزير الخارجية الأسبق، والأمين العام لجامعة الدول العربية الأسبق أيضاً فى ذلك الوقت، بيد أننى غضبت كل الغضب عندما صافحت أذنىّ كلمات الاستغاثة، وطلب التدخل من السيد "عمرو موسى" فى شئون ليبيا، ألم يكن الأجدر بالسيد/ عمرو موسى أن ينادى، ويطلب تشكيل وفد على مستوى رفيع، وليكن ذلك الوفد من وزراء خارجية العرب، ويقوم بحل المشكلة فى ليبيا، وفى غيرها لحقن الدماء، واستتباب الأمن والأمان، وتحقيق الرخاء لهذه الشعوب التى عاشت ردحاً طويلاً من الزمان، والفقر والعوز والحاجة تحيط بهذا الشعب، ويمسك الفقر بتلابيب هذه الأمة؛ وذلك لفساد الحكام، ونهبهم لثروات هذه الدول وامتصاص دماء الشعوب، ونسوا أو تناسوا قول سيدنا "عمر بن الخطاب" – رضى الله عنه – : "لو عثرت بغلة بالعراق لخشيت أن يسألنى الله – عز وجل – عنها يوم القيامة: لِمَ لَمْ تمهد لها الطريق يا عمر؟".

فكم من بغال عاثرة لدى العرب والقاهرة، هل فكروا فى إصلاح الطريق؟! هل فكروا فى حل مشكلات الشعب، طبعاً لا .

وبذلك استحقوا العذاب في الدنيا، والفضيحة فيها، فضلاً عن عذاب الله في الآخرة، وعقابه له.

وبعد قتال شرس دار في ربوع ليبيا من أقصاها إلى أقصاها انتصر الشعب الليبي، وانتصرت إرادته، وقُتل الرئيس "العقيد/ معمر القذافي"، وانتقلت بذلك السلطة إلى الشعب، راجين من الله – عز وجل – أن ينهضوا ببلادهم، وأن نرى منهم حرية للشعب وعدالة فيه، وإرساءً لقواعد الديمقراطية على أسس سليمة، ولا أساس يصلح فى ذلك الوقت إلا الحكم بكتاب الله، وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – يقول الله– تعالى-: ﴿...وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة:٤٤]، وقوله – تعالى – ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة المائدة:٤٥]، وقوله–تعالى-:﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة المائدة:٤٧]، وقول الله – سبحانه وتعالى – : ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة المائدة: ٥٠].

فمن الواجب على الشعب الليبى خاصة المثقفين والقنوات الفضائية، والإذاعة المسموعة والمرئية تكثيف الجهود، والوقوف صفاً واحداً، والعمل على تطبيق شرع الله.

وأخيراً وليس آخراً، إنها إرادة الله – عز وجل – فواجب الإيمان بأنه لا يحكم أحد فى الأرض إلا بمراده، وكما يقول "الأشاعرة": "إن الفاعل الحقيقى لكل الأشياء على وجه الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى".

الثورة اليمنية



قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعباً أو جاداً، فمن أخذ عصا أخيه فليردها إليه".

وعن "أبى هريرة" - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: "من أشار على أخيه بحديدة لعنته الملائكة"[1].

انظر كيف نهى الإسلام عن إراقة الدماء، بل عن الترويع والإخافة وتهديد أمن المسلمين؛ حتى يعيشوا فى أمن وأمان حقيقيين؛ لذا نذهب سوياً إلى "اليمن" السعيد، والذى أصبح فى عهد الرئيس "على عبد الله صالح" رئيس اليمن يمناً غير سعيد؛ للأحداث الجارية فيه؛ حيث جثم "على عبد الله صالح" على صدر اليمن وشعبها اثنين وثلاثين عاماً، والشعب اليمنى يرزح تحت نير الاستعباد، والظلم فى الاستغلال. تلك التداعيات التى دفعت الشعب اليمنى إلى "الثورة" ضد النظام اليمنى بقيادة الرئيس "على عبد الله صالح" الذى يتمسك بالسلطة، بيْد أن الشعب اليمنى يطالب برحيله، فأنزل الرئيس الجيش يريق دماء الشعب بغير حق.

ودارت معارك عنيفة بين الشعب وقوات "على عبد الله صالح" راح ضحيتها كثير من الشباب اليمنى، والذى يصر إصراراً لا ريب فيه على إزاحة هذا النظام، وإن شئت فقل: هذا الكابوس المضيّع لمصالح الشعب والمخيّب لآماله فى حياة سعيدة ينتظمها الرخاء، وتشملها الطمأنينة والهدوء والاستقرار.

ففى كل يوم يودع الشعب اليمنى شهداءه على الساحة اليمنية، والدول العربية تقف مكتوفة الأيدى، فبعضها يساند الرئيس للاستمرار فى الظلم، والبعض الآخر يقف متفرجاً ضارباً عرض الحائط بالدماء المهراقة على أرض اليمن غافلاً،

---

(١) سنن الترمذى ٤٦٢/٤ وما بعدها - ط: دار الحديث بالقاهرة.

ومغمضاً عينيه. بل ينام ملء الجفون عن الأطفال التى يُتِّمت، والنساء التى رُمِّلت، والأسر التى شُرِّدت، والشعب الذى ينام على أزيز الطائرات، ويستيقظ على دوى المدفعية، وقعقعة السلاح، فأصبح يعيش فى رعب وذعر، وخوف فأين النظام اليمنى من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعباً أو جاداً، فمن أخذ عصا أخيه فليردها إليه". وقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: زنا بعد إحصان، أو ارتداد بعد إسلام، أو قتل نفساً بغير حق فقتل به".

ويقول "عثمان بن عفان" - رضى الله عنه - فى يوم الدار - وبعد الكلمات آنفة الذكر - : "فوالله ما زنيت فى جاهلية ولا فى إسلام، ولا ارتددت منذ بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا قتلت النفس التى حرّم الله فبما تقتلوننى؟"(١).

فواجب على الرئيس اليمنى أن يرحل؛ حقناً لدماء المسلمين، وحفاظاً على "اليمن"، وتجنيبه الكوارث، وأن يضع الأحاديث السابقة نصب عينيه، وأن يتقى الله ربه فى هذا الشعب حفاظاً على ثرواته، والأخذ بيده إلى ما يصبو إليه من رفعة وتمدن، وتقدم، وحضارة خاصة أن اليمن بلد عريق، وصاحب حضارة لا يستطيع التاريخ إطباق فمه عن ذكرها وتخليدها، فهو صاحب حضارة.

ويكفى أنه ذكر فى القرآن الكريم قصة "سبأ" الواردة فى كتاب الله العزيز، قال - تعالى - : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سورة سبأ:١٥] (٢)؛ حيث

---

(١) سنن الترمذى ص٤٦٠ وما بعدها.
(٢) سورة سبأ : آية (١٥).

كانت هذه القرية ليس بها حيّات، ولا عقارب، ولا قمّل ولا بعوض وكانت طيبة الهواء حتى لو أن مريضاً مرّ بها برئ من مرضه، كما كانت آمنة مطمئنة، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، كما كانت حاجتهم التى يحتاجون إليها فى قرى ظاهرة، وقدّر فيها السير، كما منحها الأمن والآمان، فقال - تعالى - : ﴿...سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة سبأ:١٨] .

تلك البلاد الآمنة تحولت الآن في عهد الرئيس "على عبد الله صالح" ونظامه ومعاونيه في الداخل والخارج إلى بركة من الدماء، وشظف العيش، وعدم الاستقرار، وأحيطت بسياج من الرعب والخوف والذعر والهلع، بدلاً من الأمن والهدوء والسعادة، وما تزال الأحداث حتى كتابة هذه السطور مستمرة.

لذا ندعو الله - عزّوجلّ - لليمن الشقيق بأن ينعم الله عليه بحلّ المشكلة، وتولية من يعدل إنه نعم المولى ونعم المستجيب.



الثورة السورية



ثم ننتقل إلى الثورة السورية، والتى يحكمها الرئيس "بشار بن حافظ الأسد" العلوى، حيث اندلعت ثورة الشعب السورى ضد الرئيس "بشار الأسد".

حيث هبّ الشعب من رقدته، واستيقظ من نومه، وأفاق من غفوته لمحاربة الظلم، ومواجهة الظالمين مطالباً برحيل النظام، فكانت الإجابة من النظام بالرد على الثوار بالقتل، وإراقة الدماء، ولم يرقب فيهم إلّاً ولا ذمة.

فنزل الجيش السورى ليريق دماء المسلمين من أبناء الشعب السورى، فقتل الشباب، ورمّل النساء، ويتّم الأطفال، وكان أحرى بالأسد أن يخرج من عرينه موجهاً هذه القوة الضاربة إلى "الجولان"، والذى احتل من العدو الصهيونى سنة سبع وستين وتسعمائة وألف، وكان ذلك على عهد أبيه "حافظ الأسد"، الذى قام بتغيير الدستور ليولى ابنه "بشّار"، فكان واجباً عليه أن يوجه طائراته، ومدفعيته، وأسلحته لتحرير "الجولان" المغتصبة.

وكأن الشاعر عناه بهذا القول:

أسد علىّ وفى الحروب نعامة   فتخاء تنفر من صفير الصافر

ولا غرو ولا عجب، فقد فعل أبوه أكثر من ذلك، حيث قام بضرب الأخوان المسلمين فى سوريا بالطائرات فى "حمص" وفى "حلب"، ونتساءل هنا: مَنْ الذى يستحق أن تحلّق فوق رأسه الطائرات؟!! الشعب السورى والإخوان المسلمون، أم العدو الصهيونى؟! إنه فى هدنة مع "إسرائيل"، وفى حرب مع المسلمين، أعنى الشعب السورى.

ولكن الشعب السورى الثائر الذى ضرب أروع الأمثلة فى الوطنية والجهاد والتضحية، والفداء حيث إنه يواجه الرصاص بصدر رحب، وإيمان رسخ، وعقيدة لا

تتزعزع، حيث خرج الشعب السورى لا يرهب الدبابات، ولا يخاف من المصفحات، ولا ينحني أمام الرصاص الذي يخترق جسومه، ويريق دماءه، ويودى بحياته؛ ليحقق هدفه الذي يرنو إليه، وما تزال الثورة مستمرة حتى كتابة هذه السطور، والدول العربية تقف موقف المتفرج، وأعداء الإسلام في الشرق والغرب يباركون إراقة الدماء، وانشغالهم في الداخل، ناسين أو متناسين ما يحاك لهم بليل، وينسج من مؤامرات لتردى هذه الدول الإسلامية في هاوية التأخر، وانزلاقها في مهاوى الجوع والفقر، وتدمير الاقتصاد الإسلامي، فكيف لا يفرحون وحكام الأمة العربية لأغراضهم ينفذون.

نصر الله الشعب في "سورية"، ووفقه لما فيه رضاه إنه نعم المولى ونعم المستجيب.

الخاتمة

في هذا البحث تحدثنا عن الإسلام، ومواجهته للتحديات التى واجهته فى تاريخه الطويل، حيث الحملات المستمرة ضد الإسلام وأهله، فقد فتح المسلمون البلاد قاصيها ودانيها، ورفرفت رايته فى الآفاق، وانتظمت جميع البقاع، وشملت مختلف لأصقاع، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً.

ثم أصيب الإسلام بنكسة نستطيع أن نقول عنها: إنها ابتلاء، وإن شئت فقل: لقد كان ذلك تمحيصاً للمسلمين، فقد ضاعت الأندلس بعد أن أقام المسلمون فيها ثمانية قرون، مما أيقظ حسّ الشاعر العربى المسلم "الرندى" فقال:

تلك المصيبة أنست ما تقدمها ... وما لها طول الدهر نسيان

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها فى مجال السبق عقبان

وراتعين وراء البحر فى دعة ... لهم بأوطانهم عز وسلطان

هل عندكم نبأ من أهل أندلس ... قد سرى بحديث القوم ركبان

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسان

فما أشبه الليلة بالبارحة، فقد ضاعت أيضاً "فلسطين" الإسلامية على مرأى ومسمع من حكام العرب والمسلمين، ولم يهتز إنسان، ولم يهب لنجدتهم أحد من الحكام، ولكنهم غرقوا فى ملذاتهم، وجروا وراء شهواتهم، ونهبوا البلاد، وظلموا العباد، ونسوا أن أرضهم محتلة يعبث فيها عدوّهم، وينهب خيرات بلادهم، ويستنزف مواردهم، ويستذل شعوبهم، وهم ينامون ملء الجفون، متمسكين بسلطانهم حتى أوتوا من مكمنهم الذى يحذرونه، فقد هبت رياح الثورات العربية

فى "تونس"، و"ليبيا"، و"مصر"، و"اليمن"، و"سورية"، فزلزل الله عروشهم، وأزال سلطانهم، بل وأذلهم، وصدق الله – تعالى – إذ يقول: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة آل عمران:٢٦].

فالملك لله وحده، وهو المعزّ وهو المذلّ، فسبحان الله فقد كانوا أعزة فى كراسيهم، لهم جاه وسلطان، وكلمة نافذة فأذلهم الله – عزَّ وجلّ – وبدلاً من التمتع بمباهج الحياة وزخرفها الخداع سكنوا السجون.

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [سورة الإسراء:٨١]

وينادى مناديهم بقول الله – عزَّ وجلّ – : ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة غافر:١٧]

فخلعوا جميعاً، وولوا الأدبار إلى غير رجعة إلى يوم القيامة، وانتصر الحق، وزهق الباطل، وانتصرت إرادة الشعوب، وباء حكام الدول العربية بالخسران المبين.

وفى هذا البحث تصوير لما حدث في الدول العربية من ثورات أطاحت بالظالمين.

والله ولى التوفيق

المؤلف

أ.د/ على الخطيب